ملخّص برنامج الخاتمة - الحلقة (١٢٣) - اعرف امامك (ج٢٢)
صحائف العقيدة السليمة – القسم (١٦)
الصحيفة (٤) - شؤون النبوة الخاتمة (ق٣)
الشأن الثالث: ما بين التنزيل والتأويل (ج١)
الاربعاء : ٢٢/شهررمضان/١٤٤٢هـ - الموافق ٥/٥/٢٠٢١م
عبد الحليم الغزّي

في هذه الحلقة سأحدِّثكم عن الشأنِ الثالث من شؤون النُبوَّة الخاتمة، العنوان: (**ما بينَ التنزيلِ والتأويل**)، فهذا هو عنوانُ حديثي في حلقتنا هذه.
موضوعٌ يحتاجُ إلى وقتٍ طويلٍ وطويلٍ جداً، لكنَّني سألخصهُ تلخيصاً إلى أبعد الحدود بقدر ما أستطيع.
في البدايةِ لابُدَّ أن نَعرفَ معنى التنزيلِ والتأويل، ما المرادُ من التنزيل وما المَرادُ من التأويل؟
• **التنزيل:**
التنزيلُ يُرادُ منهُ القُرآن، ما نزل على قلبِ مُحَمَّد بحسبِ التعابير القُرآنيةِ بحسبِ تعابيرِ أحاديثهم الشريفة، فالتنزيلُ هو القُرآن، هذا المعنى الأول: (القُرآنُ الَّذي يوجد بيننا في صورة حسيّة في المصحف)
التنزيلُ إذاً أولُ معنى من معانيهَ: هو القُرآن، هو القُرآنُ الَّذي يتجلَّى لنا في المصحف.
والتنزيل أيضاً يرادُ منه: هو تفسيرُ القُرآن وفقاً لأسبابِ نزول الآيات.
هناك ما يُسمّى بأسباب النزول، قطعاً القُرآنُ لم يكن ولن يكون حبيساً بأسبابِ نزوله، هذه حقيقةٌ لابُدَّ أن تُعرف؛ القرآنُ ليس حبيساً بأسباب نزوله، بحسبِ ثقافة العترة الطاهرة: (فإنَّ القُرآن لهُ مجاري يجري مجرى الشمس والقمر لهُ مطالَع)
قطعاً حينما عنونتُ الشأن الثالث من شؤون النُبوّة الخاتمة (ما بين التنزيل والتأويل)، إنَّني لا أقصدُ هذين المعنيين، هناك معنىً ثالث سيأتي بيانهُ بالتسلسل، إنَّما أذكرُ لكم كُلَّ التفاصيل حتَّى تكون الصورةُ واضحةً لديكم، فأنا حين عنونت حديثي (ما بين التنزيلِ والتأويل)، لا أتحدَّثُ عن التنزيلِ بمعنى القُرآن الَّذي هو في المصحف، ولا أتحدَّثُ عن تفسيرِ القُرآنِ وفقاً لأسباب النزول في زمن النَّبي صلَّى اللهُ عليهِ وآله، إنَّني لا أقصدُ هذين المعنيين، أقصدُ معنىً ثالثاً سيأتي بيانهُ.
• **التأويل:**
التأويلُ بحسبِ القُرآنِ وبحسبِ العترة الطاهرة: التأويل هو معرفةُ حقيقةِ القرآن، وهذا ينسجمُ مع المعنى اللغوي لهذهِ اللفظة (التأويل).
التأويلُ في لغة العرب: إرجاعُ الشيء إلى أوليته، حينما نُعيد الشيء إلى أصلهِ فذاكَ هوَ التأويل.
يَشيعُ في الوسطِ الشيعي في الثقافة الشيعية من أنَّ التأويل معنى ثانويٌّ، هذا جاءوْا به من النَّواصب، النَّواصبُ هكذا يقولون، في الثقافة النَّاصبية التأويلُ هو المعنى الثانوي، فلذا حينما يقولُ قائلٌ في الوسط الشيعي مثلاً من أنَّ هذا العنوان في الكتاب الكريم يدلُّ على أمير المؤمنين حينما نقول: (الصِّراطُ المستقيم عليّ) يقولون هذا تأويل، الصِّراط المستقيم هو جادةُ الدين، أمّا أن نقول: (من أنَّ الصِّراط المستقيم هذا تأويل) والتأويل معنىً ثانويٌّ يأتي بالدرجة الثانية، بينما القُرآنُ جعلَ التأويل هو المعنى الحقيقي.
في سورة آل عمران حينما تحدَّثت الآياتُ عن خصائص القرآن، وتحدَّثت عن آيات مُحكمات هُنَّ أُمُّ الكتاب، وعن آيات مُتشابهات، ما جاء في الآية السابعة بعد البسملة من سورة آل عمران أذهبُ إلى موطن الشاهد: ﴿**وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ**﴾، فهل أنَّ الله يتحدَّثُ هنا عن علمٍ ثانويٍّ لهُ بالقُرآن وعن علمٍ ثانويٍّ للراسخين في العلم ويجعلُ ذلك من مختصاته ومن مختصات الراسخين في العلم! أيُّ هُراء هذا؟ القُرآن يتحدَّثُ هنا عن حقيقة القُرآن.
تأويل القرآن؛ تفسيرهُ الحقيقي الكامل.
وحتَّى بحسب اللغة : إرجاعُ الشيء إلى أوليته، أوَّلَ الأمر أرجعهُ إلى أوله، إلى أصله إلى حقيقته.
﴿**وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللهُ**﴾ ، فهل أنَّ الله سبحانهُ وتعالى حينما يتحدَّثُ في هَذه الآية ويَجعل علم التأويل محصوراً به وبالراسخين في العلم هو يتحدَّثُ عن علمٍ ثانويٍّ يلوكهُ هؤلاء الخُطباء المعتوهون الَّذين تَبعثُ بهم حوزةُ النَّجف إنَّها حوزةُ السفاهة والسخافة كَي يُشوهوْا فكر مُحَمَّد وآل مُحَمَّد، اعتماداً على التفاسير الَّتي كتبها هؤلاء المراجع الَّذين نقضوْا بيعة الغدير، لأنَّهم ما التزموْا بتفسيرِ عليّ وآلِ عليّ للقُرآن، كما هي النصوصُ في بيعة الغدير.
لابُدَّ أن أميّز لكم بين التأويلِ والتأوّل حتَّى تكتمل الصورةُ لديكم:
التأوّل: هو حَرْفُ المعاني إلى جهة أخرى، هو صناعةُ معانٍ ثانوية، هذا الَّذي يقولُ عنهُ الشيعةُ في بيانِ معنى التأويل هذا هو معنى التأوّل.
التأوّل: هو تكلُّفُ صناعة المعاني الثانوية بخلاف ما تدلُّ النصوصُ عليه، بخلافِ ما يقولهُ المتكلِّم، فأنا أتكلَّمُ كلاماً مُعيّناً وأقصدُ مقصداً مُعيّناً ويأتي شخصٌ فيتأوّل كلامي، لا أقول يُؤول كلامي.
يُؤوِّل كلامي: يعني يشرحهُ على وجه الحقيقة.
أمّا يتأوَّلُ كلامي: إنَّهُ يضعُ معنىً ثانياً لكلامي لم أقصدهُ أنا، يتقوّل عَليّ.
التأوّل هو تَقوّل، تَقوّل على القائل.
ولذا نقرأ في الأحاديث الواردة عنهم صلواتُ الله عليهم:
في (غيبة النعماني)، لشيخنا النعماني رض وان الله تعالى عليه، من علماء عصر الغيبة الأولى من تلامذة الكليني، وقد أعانهُ في جمع الكافي وتبويبه وترتيبه / صفحة (٣٠٨)، الحديث الثالث: **عن إمامنا الصَّادقِ صلواتُ اللهِ وسَلامهُ عليه: إنَّ القَائمَ يَلْقَى فِي حَربِهِ مَا لَم يَلْقَى رَسُولِ الله** - سيواجهُ إمامُ زماننا

في حربه ما لم يُواجههُ رسول الله، لماذا؟ - **لأنَّ رَسُول الله أتَاهُم وَهُمْ يَعْبُدُونَ الحِجَارَةَ الْمَنْقُورَة وَالخَشَبَة الْمَنْحُوتَة** - الحجارةُ المنقورة يعني المنحوتة الَّتي نُقرَت بأدوات النقر فحوَّلوها إلى تماثيل.

- **وَإِنَّ القَائِمَ يَخْرُجُونَ عَلَيْه فَيَتَأَوَّلُونَ عَلَيْه كتَابَ الله** - ليس يُؤوِّلون، يُؤوِّلون يعني يُرجعون الكتاب إلى أصله إلى حقيقته، ﴿**وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ**﴾، يُؤوِّلونه، فارقٌ بين التأويل والتأوّل، هؤلاء يتأوَّلون، فيتأوَّلونَ عليه تأوّلاً، حينما نقول: (يُؤوِّلون كتابَ الله تأويلاً)، يُؤوِّلون تأويلاً، يتأوَّلون تأوّلاً، التأوُّلُ تقوّل افتراء، ولكن بأسلوبٍ شيطانيٍ خبيث يجدون جهةً من الجهات ويبنون عليها تأوّلهم - **وَإِنَّ القَائِمَ يَخْرُجُونَ عَلَيْه فَيَتَأَوَّلُونَ عَلَيْه كتَابَ الله وَيُقَاتِلُونَ عَلَيْه** - وهذا هو الَّذي سيفعلهُ مراجعُ النَّجف وكربلاء، لأنَّ الَّذين يتأوَّلون كتابَ اللهِ على الحُجَّة بن الحسن هل هم البقَّالون؟ هل هُم النجارون؟ هل هم الأطباءُ في المستشفيات؟ أم هم مُوظفو وزارة الإحصاء مثلاً وزارة التخطيط؟ هؤلاء هُمَ الَّذينَ يتأوّلون كتاب الله، الَّذينَ يتأوّلون كتاب الله هُم أصحابُ العمائم، هؤلاء الشياطين الَّذين ضلَّلوا أجدادنا وآباءنا، هؤلاء الَّذين يتحدَّثُ عنهم إمامنا الصّادقِ من أنَّهم أضرُّ على ضُعفاء الشيعة من جيش يزيد على الحُسين بن عليٍ وأصحابه، هؤلاء الَّذين أضلُّوا أنفسهم وأضلُّوا الشيعة، إنَّهم أكثرُ مراجع التقليدِ عند الشيعة زمان الغَيبة الكبرى، هؤلاء هُم الشياطين..

الَّذي أقصدهُ من التنزيل والتأويل ما جاء في كلامِ رسول الله صلَّى اللهُ عليه وآله مُخاطباً أمير المؤمنين: **سَتُقَاتِلُهُم يَا عَلِيّ عَلَى التَأوِيل مِثْلَمَا قَاتَلتُهُم أَنَا** - مُحَمَّدٌ - **عَلَى التَنْزِيل** - فمُحَمَّدٌ صلَّى اللهُ عليه وآله قاتلَ على التنزيل، وهو الَّذي يقولُ لأميرِ المؤمنين: (سَتُقَاتِلُهُم)، إنَّهم هم هم، هُم الَّذين قاتلهم مُحَمَّدٌ صلَّى اللهُ عليه وآله على التنزيل سيُقاتلُهم عليٌ على التأويل، هذا المضمونُ وَرَدَ في جُملة من الأحاديث، وهذهِ الأحاديثُ موجودةٌ في كتبنا وحتَّى في كُتب المخالفين، لا شأن لنا بما وَرَدَ في كُتبِ المخالفين، إنَّما أشرتُ إلى ذلك لأجلِ العلمِ بهذهِ الحقيقة.

فالتنزيلُ والتأويلُ معناهما: منظومة الدين.

إلَّا أنَّ التنزيل : عنوانٌ لمنظومة الدينِ منذُ بداية البعثة المُحَمَّديَّة وإلى بيعة الغدير، هذه المرحلةُ هي مرحلةُ التنزيل، حتَّى إذا أردنا أن نأخذ بنظرِ الاعتبارِ نزول الآيات فإنَّهُ بعد بيعة الغدير نزلت الآية الأخيرة: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ**﴾ وتمّ الأمر واكتمل القرآن، حتَّى إذا أردنا أن نأخذ هذا الأمر بنظرِ الاعتبار وإن كُنتُ لا أريدُ أن أتناول كُلَّ هذهِ التفاصيل، فهذهِ التفاصيلُ لها تبيانها ولها اتجاهاتها، والمقامُ مقامُ إيجاز ما هو بمقامِ للإسهابِ والاطناب.

مرحلةُ التأويل : تبدأ من بيعة الغدير، وتستمرُّ إلى عصر الغيبة، ومن عصر الغيبة إلى عصر الظهور، ومن عصر الظهور إلى عصرِ الرَّجعة العظيمة، ومن بدايات الرَّجعة العظيمة إلى الدولة المُحَمَّديَّة الخاتمة، هناكَ يتكاملُ التأويل في أعلى درجاته، يعني يتكاملُ الدينُ في أسمى ما يُمكنَ أن يكون عليه في دولة مُحَمَّدَ الَّتي يكون فيها مُحَمَّدٌ حاكماً وعليٌ وفَاطمَةُ وأبناؤهما المعصومون من المجتبى إلى القائم هم الوزراء، هم الوُلاة، هم العُمّال، هم الموظفون لدى مُحَمَّد صلَّى اللهُ عليه وآله، هناكَ يتكاملُ الدين في أبهى صوره، هذه هي مرحلةُ التأويل.

فالتأويلُ بدأ ببيعة الغدير، من بيعةِ الغديرِ إلى عصر الظهور هذا هو التأويلُ، يمكنني أن أطلق عليه عنوان: (**التأويل العظيم**)، التأويلُ العظيم بدأ منذُ بيعة الغدير وتنتهي هذه المرحلةُ عند ظهورِ إمامِ زماننا كي يبدأ (**التأويل الأعظم**)، ويتسامى حتَّى نصل إلى الدولة العَلَويَّة وهي الَّتي ستسبقُ الدولة المُحَمَّديَّة وستستمرُ إلى ما يقرب من خمسين ألف سنة الدولةُ العلويةِ ما يقرب من خمسين ألف سنة، وبعدها تأتي الدولةُ المُحَمَّديَّةُ العظمى الَّتي يُعبَّرُ عنها في أحاديث أهل البيت (**بجنَّة الدنيا**) ، بجنَّة الأرض تستمرُ خمسين ألف سنة، وفي نهايتها ينتهي العمرُ الافتراضيّ للدنيا، فتبدأ اشرطُ الساعة لمجيء يوم القيامة.

فحين يقولُ صلَّى اللهُ عليه وآله: من أنَّهُ بُعثَ والسَّاعة كهاتين ويُشير إلى اصبعيه، أو ممَّا جاءَ في وصفه في كتب الديانات القديمة؛ (من أنَّهُ نبيَ آخر الزّمان) ، فآخرُ الزَّمان هو آخر عمر الدنيا بالمعنى الحقيقي، مُحَمَّدٌ صلَّى اللهُ عليه وآلهِ هو نبي آخر الزَّمان، آخرُ الزَّمانِ بانتهاء عُمر الدُنيا، بحسبِ ثقافة القُرآنِ والعترة متى ينتهي عمر الدنيا؟ ينتهي عمر الدنيا بانتهاء زمانِ الدولةِ المُحَمَّديَّة الخاتمة في نهاية عصر الرَّجعة العظيمة، فهذا المرادُ من نبيَ آخرِ الزمان، (**وَأَنَا والسّاعة والقيامة كَهَاتَين**)، يُشير إلى أنَّ نُبوّتهُ أنَّ بعثتهُ أنَّ رسالتهُ هيَ أقربُ ما تكون إلى يوم القيامَة إنَّها دولتهُ الخاتمة، ولذا فإنَّ الاعتقادَ بنبوَّة مُحَمَّد من دونِ هذا الفهم هو اعتقادٌ مخروم، هذا هو الَّذي علمتنا إيَّاه حوزةُ النَّجف ومات أجدادنا وآباؤنا على عقيدة مخرومة بنبوَّة نبينا صلَّى الله عليه وآله اقتداءً بعقيدةِ سقيفةِ بني ساعدة في النُبوَّة وفي بعثةِ نبينا صلَّى اللهُ عليه وآله، هذا هو الَّذي جرّهُ علينا أوباشُ حوزةَ النَّجف.

مُحَمَّدٌ صلَّى اللهُ عليه وآله في مرحلة التنزيل لم يكن قد ظهرَ دينهُ على الدينِ كُلِّه، كانت مُقدِّمةً فجاءت مرحلة التأويل ناسخةً لتلكَ المقدِّمة، وإلَّا فإنَّ علياً لن يكونَ ناسخاً لمُحَمَّد صَلَّى اللهُ عليه وآله هو نفسهُ، عليٌ هو مُحَمَّد، ومُحَمَّدٌ هو عليٌ، لكنَّ مرحلة التأويل جاءت ناسخةً لأيِّ شيء؟ جاءت ناسخةً لمرحلة التنزيل الَّتي كانت مُقدِّمةً لمرحلة التأويل، التأويلُ الأعظمُ الأعظمُ الأعظم هو في الدولةِ المُحَمَّديَّةِ العظمى.

قلتُ لكم قبل قليل:

يمكنني أن أصفَ التأويلَ بعدَ بيعة الغدير إلى زمان الظهور بالتأويل العظيم، وأجلى معانيه، أجلى معانيه كانَ في زمانِ إمامنا الصّادق، إنَّهُ الانفجارُ الإيمانيّ الهائل، إذا كانَ الفيزيائيون يتحدَّثون عن الانفجارِ العظيم لنشأة الكون بحسبِ نظريات الفيزياء الحديثة إذا كانوا يتحدَّثونَ عن هذا المعنى في ديننا في دينِ مُحَمَّد وآلِ مُحَمَّد إذا كان هناك من انفجارٍ هو الانفجارُ الصادقيّ، فأسمى مراتب مرحلة التأويل العظيم كانت زمن إمامنا الصّادق صلواتُ الله وسلامهُ عليه.

وأخذُ الأمرَ يتسامى ويبقى التأويل متسامياً متدرجاً حتَّى نصلَ إلى يومِ الخَلاص عند ظهورِ إمامِ زماننا وذلكَ هو التأويلُ الأعظم.

الآيةُ السابعةُ والستون بعد البسملة من سورة المائدة تُحدِّثنا عن هذه المضامين بإجمالٍ، التفصيلُ نستطيعُ أن نُحصِّل عليه من آيات أخرى أو من أحاديثهم التفسيرية: ﴿**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ** - الخطابُ لمُحَمَّد صلَّى اللهُ عليه وآله في جهة الرسالة، الرسالةُ الَّتي القُرآنُ هو جزءٌ منها، الرسالةُ هي منظومةُ الدينِ بكُلِّ تفاصيله، من جملتها بل في رأسها الرسولُ نفسهُ هو جزءٌ من منظومةِ الدين - **يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ** - في عليٍ - **بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَه**﴾.

إذاً هناك مرحلةٌ فيصل، ما قبل الغدير هناكَ رسالةٌ لا نستطيع أن نقول من أنَّ ما قبل الغدير ليسَ هناك من رسالةٍ، هناك رسالةٌ، هناك مرحلةٌ، هناك منظومةُ دينٍ مُتكاملة بحسب المرحلة؛
- هناك مُحَمَّدٌ صلَّى اللهُ عليه وآله.
- وهناك عليٌ إلى جانبهِ في تلكَ المرحلة.
- وهناك القرآنُ.
- وهناك وهناك وهناك.
لكنَّ العمر الافتراضي قد انتهى لهذه المرحلة، بدأت مرحلةٌ جديدة.
وإلَّا فليسَ من المنطقي أنَّ ما قام بهِ مُحَمَّدٌ صلَّى اللهُ عليه وآله من بعثته إلى يوم الغدير ليسَ لهُ من قيمة، ما كان عليٌ معهُ وولايةُ عليَ كانت ثابتةً، وقد ولَّى علياً حينما جمعَ الهاشميينَ في مكَّة لَمَّا نزلت الآيَةُ تأمرهُ بإنذارِ عشيرته الأقربين، الحكايةُ المفصَّلةُ في كتبِ التاريخ والسير، وكيفَ أنَّهُ جمع الهاشميين ونَصَّب علياً وزيراً لهُ وخليفةً من قبله عليهم، حتَّى أنَّ أبا لهب استهزأَ بأبي طالب كيفَ أنَّ مُحَمّداً نَصَّبَ علياً هذا الغلام الصغير نصّبهُ على أبيهِ أبي طالب، شيخ بني هاشم، هذا أمرٌ معروفٌ في كُتب السير والتاريخ لا أريدُ أن أقف عنده، فليسَ من المنطقي أنَّ كُلَّ ذلكَ ليسَ لهُ من قيمة، ليسَ لهُ من قيمة في لحظة انتهاء العمر الافتراضي لتلكَ المرحلة، بهذا اللحاظ، لأنَّ العمر الافتراضي قد انتهى لمرحلة التنزيل.
وبدأت مرحلةُ التأويل، فجاءت مرحلةُ التأويلِ ناسخةً لمرحلة التنزيل، وهذا واضحٌ من الآية بشكلٍ صريح، لو لم تكن هناك عمليةُ نسخ لماذا قالت الآيةُ واصفةً للَّذين لا يؤمنون ببيعة الغدير من أنَّهم كافرون، وهذا هو أشدُّ كفرٍ في القُرآن، لماذا؟ لأنَّ الرسالة الَّتي تشتملُ على الإيمان بالله وعلى الإيمان برسول وعلى الإيمان بالقُرآن وبما فيه من الاعتقاد باليوم الآخر وغيرِ ذلك لا قيمة لهُ بالقياس إلى بيعة الغدير، الآيةُ تقول: ﴿**وَإِنْ لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَه**﴾ ، يعني أنَّ الكُفر بهذه البيعة هو أشدُّ من الكفرِ بكُلِّ تلكَ التفاصيل، فلو لم تكن هناكَ عمليةُ نسخ، من هنا نحنُ نقول: (خذوا بقول المتأخر) ، بقولِ المتأخر من المعصومين، فلو قال عليٌ كلاماً مُخالفاً لبعض ما قالهُ رسول الله ونحنُ متأكِّدون من أنَّ علياً هو الَّذي قالهُ، فإنَّنا نأخذ بقول عليَ لأنَّهُ هو المتأخر، وهكذا لو قال الإمامُ الجواد قولاً يخالف الَّذين سبقوه فإنَّنا نأخذُ بقول الإمام الجواد، وهذا هو معنى التدرّج في التأويل، ما هو بخلاف للَّذينَ سبقوه، لكن في عصرِ كُلِّ إمامٍ أو في عصرِ كُلِّ إمامين بحسبِ المراحل الَّتي يمرّ فيها التأويل، يصدرُ عن الإمامِ بما يناسبُ تلكَ المرحلة، وهو عالمٌ بأنَّ الإمام الَّذي سيأتي من بعده سيقولُ قولاً آخر، لأنَّ عملية التدرج في التأويل هي هذه. قد يكونُ قولُ المتأخِّر من أجل التقيّة، هذا لا نعملُ بهِ، إذا ثبت عندنا من أنَّ المتأخر قد قال قولاً بحسبِ قانون التقية بحسبِ قانون المداراة فإنَّنا لا نأخذ به، لأنَّهم هم الَّذين قالوا لنا: (لا تأخذوا بكلامنا إذا كان بحسبِ قانون التقية)، وإنَّما نأخذُ بقول المتأخرِ إذا كان ناسخاً لقول الَّذين سبقوه بحسبِ التدرج في البيانِ التأويلي، وهذا هو الَّذي تتحدَّثُ عنه الرواياتُ من أنَّ علامة الإمام المعصوم: (**أن يعلم النَّاسخ من المنسوخ**) ، فهل المراد أنَّهُ يعلمُ الناسخ من المنسوخ من أنَّهُ يعرفُ الآيات الَّتي هي في المصحف وهذه الآية نسخت هذه الآية، ما أنا أعرفها، وغيري يعرفها، المتخصِّصون بدراسة القُرآن يعرفون الآيات المنسوخة والآيات الناسخة، فهل أنا إمامٌ؟! أيَّ منطقٍ هذا؟! إنَّما المرادُ في علامة الإمام المعصوم من أنَّهُ يعلمُ الناسخ والمنسوخ في هذه المسيرة التأويلية، ويكونُ البيانُ بحسبِ حكمتهم، فقد يُنسخ حكمٌ في مرحلة وقد يعودون إليه في مرحلة أخرى، هذه مرحلةُ التأويل، كما قلتُ لكم قبل قليل: (تستمر من بيعة الغديرِ إلى نهاية الدولة المُحمّديَّة) ، وهي على مراحل، طبقات، وطبقةٌ تنسخ ما قبلها، هذا هو السرّ في اختلاف الأحاديث..
أعودُ إلى الآية السابعة والستين بعد البسملة من سورة المائدة: ﴿**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ** - إنَّهُ صاحبُ رسالة، وصاحبُ الرسالة صاحبُ منظومة دينٍ متكاملة - **يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ** - وخاطبهُ الله بصفة الرسالة وهو مُتلبّسٌ بهذه الصفة كما يقولون في شرح المعاني - **يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِنْ لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ**﴾.
فَلمَّا حصل التبليغ نزلت هذه الآيةُ: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيْناً**﴾، أكملتهُ، أكملتُ لكم الدين حينما انتقلنا من مرحلة التنزيل الَّتي كانت مُقدِّمةً لمرحلة التأويل ودخلنا في مرحلة التأويل فقد أكمل الدين، لأنَّ الدينَ في مرحلة التنزيل بحدود مرحلة التنزيل كانَ كاملاً، لكن بالقياس إلى مرحلة التأويل فهو ناقص، وناقصٌ وناقصٌ وناقص، فحينَما دخلنا في مرحلة التأويل قَال الله سبحانهُ وتعالى: ﴿**وَرَضِيْتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيْناً**﴾ ، إذا رجعتم إلى الروايات والأحاديث في معنى الإسلام: (الإسلامُ ولايةُ عليٍ، الإسلامُ التسليمُ لعليٍ وآلِ عليٍ)، هذا المضمونُ ورد في أحاديثهم ورواياتهم صلواتُ الله وسلامهُ عليهم أجمعين، الإسلامُ هو التسليم، التسليمُ لمن؟ التسليمُ لـمُحَمَّد وآل مُحَمَّد، الحديثُ هنا عن مرحلة ما بعد بيعة الغدير، سيكونُ التسليمُ لمن؟ سيكون التسليمُ لعليٍ وآلِ عليٍ، هذا هو معنى ﴿**وَرَضِيْتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيْناً**﴾.
في القرآنِ ما يُشيرُ إلى حالة التدرّج في مرحلة التأويل، على سبيل المثال:
إذا أردنا أن نذهب إلى سورة الأعراف، وفي الآية الثالثة والخمسين بعد البسملة من سورة الأعراف: ﴿**هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ تَأْوِيْلَه** - ينظرون ينتظرون، ينظرون ماذا تعني؟ ينظرون ينتظرون، يعني أنَّ التأويل يأتي تدريجياً، هناك انتظارٌ للتأويل - **يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيْلُهُ يَقُولُ الَّذِيْنَ نَسُوهُ من قَبْلُ قَدْ جَاءتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَل لَّنَا من شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُواْ لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُواْ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ**﴾، بحسبِ تفسيرِ عليٍ وآل عليٍ هذه الآيةُ وما يُماثلها من آيات الكتاب الكريم في ظهور القائم، وفي الرجعة، عودوا إلى تفسير القُمّي وغيره، بحسبِ تفسير عليٍ وآل عليٍ: ﴿**هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ تَأْوِيْلَه** - ينتظرون تأويله - **يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيْلُهُ** - يأتي تأويلهُ الأعظم في يوم الخَلاص عند ظهور الحُجَّة بن الحسن ويأتي التأويل الأعظم الأعظم في الدولة العلوية الَّتي تَسبقُ الدولة المحمَّديَّة، ويأتي التأويلُ الأعظمُ الأعظمُ الأعظم في الدولة المُحَمَّديَّة الخاتمة - **هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ تَأْوِيْلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيْلُهُ يَقُولُ الَّذِيْنَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ**﴾ ، هذه الحقائق كُنَّا قد سمعنا بها، أمَّا يوم القيامة فهو اليوم الَّذي يكونُ جماعاً لكُلِّ مراتب التأويل، فهذه الآيةُ وما يُماثلها من آيات أخرى في الكتاب الكريم تُفسَّر بيوم القيامة أيضاً.
لابُدَّ أن تعرفوا من أنَّ القيامة بحسبِ ثقافة العترة الطاهرة هذا المصطلح: أُطلق على قيام الحُجَّة بن الحسن إنْ كان في القُرآنِ أو في حديثهم، الساعة والقيامة أُطلق على ساعة الظهور على قيامة الظهور.
- فقيامُ القائمِ قيامةٌ.
- والرجعةُ قيامةٌ.

- والقيامةُ الكبرى قيامةٌ.
في القيامة الكبرى يكونُ الأمر جُمَاعاً كاملاً، جمعاً كاملاً لكُلِّ مراحل التأويل.
في سورة يونس، وفي الآية التاسعة والثلاثين بعد البسملة: ﴿**بَلْ كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِه وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ** - ولَمّا يأتهم تأويله؛ لَمّا بمعنى لم، لم يأتهم تأويلهُ بعد، وهذا يُشيرُ إلى التدرّج، التدرّج في بيانِ التأويلِ، لا أتحدَّثُ عن معلوماتَ أتحدَّثُ عن منظومة الدين بكاملها - **كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِيْنَ مِن قَبْلِهِمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِيْنَ**﴾.
سؤالٌ: حينما كان يبلغُ النبي المَسلمين بَالقُرآن هل كان يُفسّره لهم أو لا؟
هناكَ من يقول من المخالفين: من أنَّ النَّبي ما فَسّر القُرآن، القُرآنُ يُكذِّبهم، إذا ذهبنا إلى سورة الجمعة؛
سورة الجمعة واضحةٌ جِداً في الآية الثانية بعد البسملة: ﴿**هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّيْنَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِه** - هذه تلاوة - **وَيُزَكِّيهِمْ** - وعملية التزكية تجمعُ ما بين التزكية النظرية التوجيه وبينَ التزكية العلمية، من أنَّهُ يكونُ أُسوةً لهم ويتابعُ تطبيقهم العملي هذه هي التزكية - **وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ**﴾ ، يُعلِّمهم الكتاب والحكمة أول فقرة؛ التفسير، التأويل، ﴿**وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ**﴾، سيدُ الراسخين في العلم مُحَمَّدٌ صلَّى الله عليه وآله ، أين تفسيرُ مُحَمَّد لقرآنه؟ لاَ شأن لنا بالنَّواصب.
نحنُ في واقعنا الشيعي أين تفسيرُ مُحَمَّد صلَّى اللهُ عليهِ وآله لَقُرآنه؟ وإذا كان مُحَمَّدٌ قد فَسّر القُرآن للمسلمين لماذا اتَّخذ عهداً عليهم في بيعة الغدير أن يأخذوْا التفسير من عليَ فقط؟ لماذَا لم يأخذ العهدَ عليهم منَ أنَّهم يأخذون التفسير من التفسير الَّذي فَسّرهُ هوَ لهم؟ كانَ تفسيرهُ في مرحلة التنزيل، هذه حقائق واضحة واضحة أمام أعيننا، فأين تفسيرُ مُحَمَّد للقُرآن؟ لا شأنَ لنا بالنَّواصب، أنا أتحدَّثُ عن واقعنا الشيعي، ليس عندنا من تفسيرٍ للقُرآنَ عن مُحَمَّد، نعم عندنا تفسيرٌ للقُرآنِ عن عليٍ وآلِ عليٍ يتضمنُ بعض الأحاديث عن مُحَمَّد صلَّى اللهُ عليه وآله.
مثلما قلتُ لكم: هناكَ من أصحابِ مُحَمَّد صلَّى اللهُ عليه وآلهِ من كانَ على التأويلِ في زمانَ التنزيل، سَلمان كان مُحدَّثاً، الَّذي يكونُ في هذه المنزلة هو في أعلى مراتبِ مرحلة التأويل، الإمامُ الصَّادقُ يقول: (كَانَ سَلْمَان مُحَدَّثاً)، فحينما بيّن لنا إمامنا الصّادقُ كانَ مُحَدَّثاً عمّن؟ اتصالهُ الغيبيّ بمن؟ بيّن لنا إمامنا الصّادقُ: (**كانَ مُحَدَّثاً عَن إمَامه**) ، يُشيرُ إلى أمير المؤمنين صلواتُ الله وسلامهُ عليه، هذا في زمانِ النَّبي، فكانَ مُحدَّثاً عن إمامه فهو داخلٌ في مرحلة ما بعد الغدير في مرحلة التأويل، أنا قلتُ لكم هذه المطالبُ واسعةٌ وواسعةٌ جِداً..
تفاصيلُ الأحكام لم تَرد عن النَّبي، ما بيّنهُ النبيّ من الأحكامَ بَيْنَ كُلِّيات، والمسائلُ الَّتي كانَ يُبتلى بها المسلمون كانت محدودةً، بعدَ ذلكَ تعقَّدت الحياة وتوسّعت رقعةُ المسلمين وكانَ الَّذي كان، فلذا وُضعَ الحل من البداية، الحلُ في بيعة الغدير، وأخذَ العهدُ علينا من أنَّ التفسيرَ يُؤخذُ من عليٍ فقط، ومن أنَّ الفهمَ وقواعدَ الفهم تؤخذُ من عليٍ فقط، (هَذا عَليّ يُفَهِّمكُم بَعدي)، فكُلُّ الأمورِ أُرجعت إلى سيدِ مرحلة التأويل وقال لهُ: (سَتُقَاتلُهُم عَلَى التَّأويل) ، على مرحلة الدين الجديدة، الَّتي نسخت مرحلةَ الدين السابقة، هذه علامةُ الإمام المعصوم منَ أنَّهُ يعرفُ الناسخُ من المنسوخ بهذا الأفق، لا كما أعرف أنا منَ خلالِ الروايات، من خلال كُتب التفسير، من خلال السيرة والتاريخ من أنَّ الآية الكذائية نسخت الآية الفلانية.
أحاديثُ المعارف قليلةٌ جِداً الَّتي نُقلت عن رسول الله، أحاديثُ المعارف وأحاديثُ الأسرار، أحاديثُ الثقافة الدينيّة العميقة نُقلت عن أئمَّتنا في مرحلة التأويل، ما نُقل عن النَّبي كانَ بشكلٍ محدود، كُلُّ هذا يُخبرنا عن أنَّ مَرحلة التنزيل قد نُسخت وعلينا أن نخرج منها منذُ بيعة الغدير.
أضربُ لكم مَثالاً على وجه السرعة:
حينما كان يُؤذِّن المسلمون زمان النَّبي (بحيَ على خيرِ العمل) ، في أذانهم وفي إقامة صلاتهم، وهذا الأمرُ يعرفهُ الشيعةُ والسُنَّة في زمان النَّبي كان الأذانُ (بحيَ على خيرِ العمل) ، فحينما كان مؤذِّن النَّبي يُؤذِّنُ في مسجده، في مسجد رسول الله قائلاً: (حي على خيرِ العمل)، بحسبِ مرحلة التنزيل وبحسبِ عامَّة المسلمين فإنَّهم يفهمون من أنَّ الصَّلاة هي خيرُ العمل، حيَ؛ يعني أقْبِل، (حيَ على الصَّلاة، حيَ على الصَّلاة، حيَ على خيرِ العمل)، فهذا الإقبالُ على الصَّلاة، هذا الإقبالُ على الصَّلاة الَّتي هي خيرُ العمل، هذا بحسبِ مرحلة التنزيل. قطعاً أصحابُ التأويلِ أمثال سلمان يعرفون الحقيقة، يعرفون أنَّ خيرَ العمل ولايةُ عليٍ، هذا المعنى اتَّضح بعدَ بيعة الغدير، لذا لَمَّا وصل الأمرُ إلى عمر صارَ خليفةً ألغاها، رفعها من الأذان، لأيِ شيءٍ؟ رفعها من الأذان بحسبِ ما أُعلن بين الناس، لأنَّ المسلمين في مرحلة جهاد فحتَّى لا يتَّكل المسلمون على الصَّلاة من أنَّها خير العمل وإنَّما يتوجَّهون إلى الجهاد الَّذي هو خيرُ العمل في تلكَ المرحلة، فلذا رُفعت من الأذان بعد أن انتهت مَرحلةُ الجهاد لماذا لم يُرجعوا حيَ على الخير العمل؟ القضيةُ ليست هكذا، لأنَّهُ بعد بيعة الغدير ودخلَ المسلمون مرحلة التأويل وفهموْا من أنَّ خيرَ العمل ولايةُ عليٍ، فما أرادَ عمر لهذه الثقافة أن تنتشر، لأنَّ الناس ستسأل، ما المرادُ من خير العمل؟ وهناك من تثقَّفُ بهذه الثقافة من رسول الله بعد أن كانت وتحقَّقت بيعةُ الغدير.
في (علل الشرائع) ، الجزء الثاني / الباب التاسع والثمانون / نوادرُ علل الصلاة / صفحة (٢٨٨)، الحديث الرابع: **مُحمّد بنُ أبي عُمير أنَّهُ سَأَلَ أبَا الحَسَن** - سأل الإمام الكاظم، ابنُ أبي عُمير من خواصِّ أصحابِ إمامنا الكاظم، وللتقيّة كانوْا يُكنّونَ الإمامَ الكاظمَ بأبي الحسن، فحينما يُقالُ في الأحاديثِ والروايات في الأعمِّ الأغلب (حدَّثَ عن أبي الحسن)، إنَّهُ إمامنا الكاظمُ صلواتُ الله عليه.
مُحمّد بنُ أبي عُمير سَأَلَ إمامنا الكاظم - عن أيِّ شيء؟ - **سَأَلَهُ عَن حَيَّ عَلَى خَيرِ العَمَل لِمَا تُرْكَت من الأذَان؟ فَقَال** - إمامنا الكاظم يقول لابن أبي عمير - **تُرِيدُ العلَّة الظَّاهرَة أو البَاطنَة؟** - مرادهُ من العلَّة الظاهرة الَّتي أظهروها بين الناس - **قُلتُ: أُرِيدُهُما جَميعَاً، فَقَال** - قال إمامنا الكاظم - **أمَّا العلَّةُ الظَّاهرَة؛ فَلئَلَّا يَدَعُ النَّاس الجِهَاد اتِّكَالاً عَلى الصَّلَاة، وَأمَّا البَاطنةُ؛ فَإنَّ خَيرَ العَمَل الوَلَايَة، فَأَرَادَ مَن أمَرَ بِتَرْك "حَيَّ عَلَى خَيرِ العَمَل" من الأذَان أنْ لَا يَقَع حَثَّاً عَلَيهَا وَدُعَاءٌ إلَيْهَا.**
هناك روايةٌ ترتبطُ بهذا الموضوع الحديث الخامس، صفحة (٢٨٩): **عَن مُحمّد بنِ مُروان عَن أبي جَعفَر** - عن إمامنا الباقر - **قَالَ: أتَدْرِي** - الإمام الباقرُ هو يسألُ مُحمّد بن مروان - **أتَدْرِي مَا تَفْسيرُ "حَيَّ عَلَى خَيرِ العَمَل"؟ قَالَ، قُلتُ: لَا، قَالَ: دَعَاكُ إلى البِرِّ أتَدْرِي بِرٌّ مَن؟ قُلتُ: لَا، قَالَ: دَعَاكَ إلَى بِرِ فَاطمَةَ وَوِلْدهَا** - إمامُ الأئمَّة و الحُجَّةُ على وُلدها الأئمَّة، وتقولون لي من أنَّ فَاطمَة ليست إماماً! ما خيرُ العمل هي الولايةُ والإمامة، هذا المعنى منتشر في كُلِّ آياتَ الكتابِ المفسَّرِ بتفسيرهم لا بتفسير سقيفة بني ساعدة، ولا بتفسيرِ سقيفة بني نجف بني طوسي بني مرجعية.
هذا هو المثالُ التقريبيّ لحركة الصِراع ما بين التنزيل والتأويل، السقيفةُ بقيت على مرحلة التنزيل، وعليٌ وآلُ عليٍ دخلوا في مرحلة التأويل، قاتلهم في البدايةِ، وما قاتلهم لأجلِ القضاءِ عليهم وإنَّما كي يُثبت بسيرته العمليةِ بداية مرحلة التأويل، ودخلنا بعد ذلك في البرنامج التدريجي عبرَ الأئمَّة

صلواتُ اللهِ وسلامهُ عليه إلى يومِنا هذا، مُنتظرين يوم التأويل الأعظم إنَّهُ يوم ظهور إمامِ زماننا صلواتُ اللهِ وسلامهُ عليه، فهذهِ الروايةُ وحكايةُ حيّ على خير العَمل تُقربَ لنا هذا الصراع.

والحكايةُ هي هي مع حوزةِ النَّجف، لكنَّهم نقلوها إلى الشهادة الثالثة، فحوزةُ النَّجف لا تستطيعُ أن تُنكر حيَ على خير العمل، فذهبوّا فأنكروْا الشهادة الثالثة، هذا هو صِراعُ أوبَاش النَّجف الَّذين استقرَّوْا في مرحلة التنزيل وجاءونا بدينٍ مِسخ لا صلةَ لهُ بِمُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمّد، فمثلما نواصبَ السقيفةِ حاربوْا حيّ على خَير العمل، نواصبُ النَّجف حاربوْا أشهدُ أنَّ علياً ولي الله.